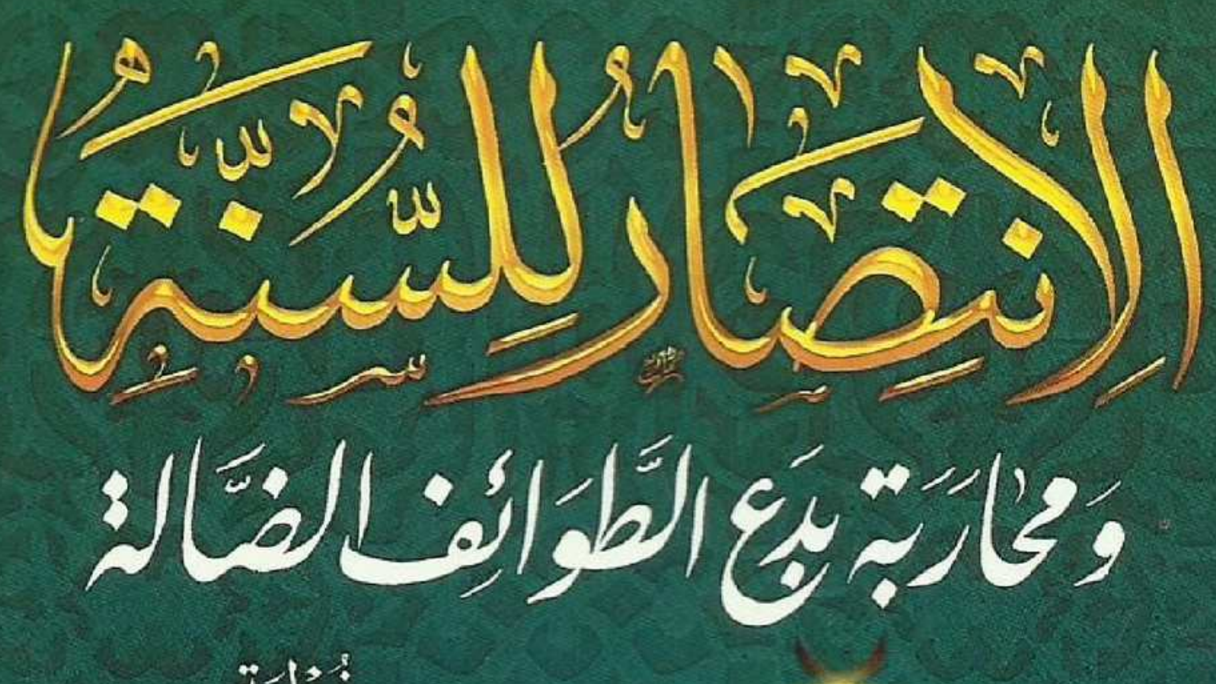


الانتصار للسنة

ومحاربة بدع الطوائف الضالة

خطبة

للسلطان المولى سليمان العلوي رحمه الله



قدم لها

الشيخ العلامة المجدد

الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله

١٣١١ - ١٤٠٧هـ

مؤسسة الحسنى

للنشر والتوزيع

الانتصار للسنة

ومحاربة بدع الطوائف الضالة

خطبة

للسلطان المولى سليمان العلوي رحمه الله

قدم لها

الشيخ العلامة المجدد

الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله

١٣١١ - ١٤٠٧هـ

مؤسسة الحسنى



الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



زنقة - بومدين الغوثي - رقم (٩/١١) حي الدخلة - الدار البيضاء - المغرب

هاتف: ٠٥٢٢٤٥١٠٨٢ فاكس: ٠٥٢٢٤٥٠٩٣٥

daraljil@yahoo.fr



١ زنقة طارق بن زياد رقم (٩) حي المستشفيات - الدار البيضاء - المغرب

هاتف/فاكس: ٠٥٢٢٨٦٢٠٠٠

kamal-at@hotmail.com

مُقدِّمَةُ الخُطبَةِ
بقَلمِ الدُّكتُور مُحمَّد تَقِي الدِّينِ الحُسينِيِّ الهِلالَيِّ

الحَمدُ للَّهِ القَائل: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

وصَلِّ اللهُمَّ علَىٰ عبدِكَ ورَسُولِكَ مُحمدٍ النبيِّ المُختَارِ، وعلَىٰ آلِهِ وأصحَابِهِ الأبرَارِ، وعَلَىٰ منِ اتَّبعَهُم بإحسَانٍ منَ المُؤمِنينَ الأخيَارِ.

أمَّا بَعدُ:

فِيقُولُ أفقَرُ العِبادِ إلَىٰ ربِّهِ الكَبيرِ المُتعَالِي مُحمَّد تقِي الدِّينِ الحُسَينِي الهِلالِي: إنَّ الخُطبَةَ المُبارَكَةَ التِي أنشَأهَا أمِيرُ المُؤمِنينَ المَولَىٰ سُليمَانُ بنُ مُحمدِ بنِ عَبدِ اللَّهِ بنِ إسمَاعيلَ المَلكُ المَغربِيُّ العَلوِيُّ العَظيمُ، هيَ جَيشٌ مِن جُيوشِ التَّوحِيدِ والسُّنَّةِ؛

لِتَطهِيرِ العُقولِ مِنَ الشِّركِ والبِدعَةِ، وتَوجيهِهِمْ لاتِّباعِ الكِتابِ والسُّنَّةِ؛ إذْ لا صَلاحَ ولا فَلاحَ للمُسلِمينَ إلَّا بذَلكَ.

وقَد عُنيَ بِها العُلماءُ المُخلِصينَ مِن يَومِ صُدورِهَا إلَىٰ يَومِنَا هذَا بالطَّبعِ والنَّشرِ والشَّرحِ؛ لِمَا اشتَمَلتْ عَليهِ منَ النَّصيحَةِ للمُسلِمينَ، وإبعَادِهِم عَن سُلوكِ طَريقِ المُجرِمينَ الذِينَ يأكُلونَ خيرَ اللَّهِ، ويَعبُدونَ غَيرَ اللَّهِ، وقَد صَدَّتْهُمُ الشَّياطِينُ عَنِ التَّمسُّكِ بسُنةِ سَيدِ المُرسَلينَ.

وقَد وفَّقَ اللَّهُ جمَاعةً مِنَ الحُنفَاءِ ذَوي الغَيرَةِ عَلَىٰ الدِّينِ إلَىٰ طَبعِهَا ونَشرِهَا؛ تَنوِيرًا وإصلاحًا لقُلوبِ إخوَانِهم المُسلِمينَ، جزَاهُمُ اللَّهُ خَيرَ مَا يجزِي بِهِ المُحسِنينَ، والتَمَسُوا مِنِّي أنْ أجعَلَ لهَا مُقدِّمَةً تكشِفُ النقَابَ عَن سَببِ إنشَائِهَا، والغَرضِ المُرادِ بِها؛ فلَبَّيتُ الدَّعوَةَ رَاجيًا أنْ ينفَعَ اللَّهُ بِهذَا العَملِ كلَّ قارِئٍ وسَامِعٍ، ويَهدِيَنا جَمِيعًا صِراطَهُ المُستقِيمَ، ويجعَلَنَا مِنَ الذِينَ أنعَمَ عَليهِمْ منَ النَّبيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهدَاءِ والصَّالِحِينَ.

سَببُ إنشَاءِ هَذه الخُطبَةِ وتَعمِيمِها في جَميعِ المَسَاجِدِ المَغرِبيَّةِ مِن قِبلِ المَلكِ المَذكُورِ -أحسَنَ اللَّهُ إليهِ، وقدَّسَ رُوحَهُ-:

قالَ صَاحبُ «الاستِقصَا فِي تَارِيخِ المَغرِبِ الأقصَىٰ» الشيخُ أبُو العبَّاسِ أحمَدُ بنُ خَالدٍ الناصِريُّ مَا نصُّهُ باختِصَارٍ وتَصرُّفٍ:

«وفِي سنةِ ستٍّ وعِشرِينَ ومِائتَينِ وألفٍ وَجَّهَ السلطَانُ المَولَىٰ سُليمَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلدَهُ الأستَاذُ الأفضَلُ المَولَىٰ أبَا إسحَاقَ إبرَاهيمَ بنَ سُليمَانَ إلَىٰ الحِجازِ لأدَاءِ فَريضَةِ الحَجِّ مَعَ الركْبِ النَّبوِيِّ فِي جَماعَةٍ منْ عُلمَاءِ المَغرِبِ وأعيَانِهِ، مِثلُ الفَقيهِ العَلَّامةِ القَاضِي أبِي الفَضلِ العبَّاسِ بنِ كِيرانَ، والفَقيهِ المَولَىٰ الأمِينِ بنِ جَعفرٍ الحَسَنِيِّ الرتبِيِّ، والفَقيهِ العَلامَةِ الشَّهيرِ أبِي عبدِ اللَّهِ مُحمدِ العَربِي السَّاحِلِي، وغَيرِهم

مِن عُلماءِ المَغربِ وشُيوخِهِ، فوَصَلُوا إِلَىٰ الحجَازِ، وقضوا المَنَاسِكَ، وزَارُوا مَسجدَ رسُولِ اللَّهِ ﷺ، وصَارُوا فِيهِ فِي الرَّوضَةِ المُبارَكَةِ، وسَلَّمُوا علَىٰ النَّبِيِّ ﷺ.

حَكَىٰ صَاحبُ الجَيشِ: أنَّ المَولَىٰ إبرَاهِيمَ ذَهبَ إِلَىٰ الحَجِّ واستَصحَبَ معَهُ جَوابَ السلطَانِ، فكَانَ سَببًا لتسهِيلِ الأمرِ عَلَيهِمْ وعَلَىٰ كُلِّ مَن تعلَّقَ بِهِم مِنَ الحُجَّاجِ شَرقًا وغَربًا، حتَّىٰ قضَوا مَناسِكَهُم عَلَىٰ الأمنِ والأمَانِ والبِرِّ وَالإِحسَانِ.

قَالَ: حدَّثَنَا جمَاعَةٌ وافِرَةٌ ممَّنْ حجَّ مَعَ المَولَىٰ إبراهيمَ فِي تِلكَ السنَةِ أنَّهُم مَا رَأوا مِن ذَلكَ السلطَانِ -يعنِي: ابنَ سُعودٍ- مَا يُخالِفُ مَا عَرفُوهُ مِن ظَاهِرِ الشَّريعَةِ، وإنَّمَا شَاهَدُوا مِنهُ ومِن أتبَاعِهِ غَايَةَ الاستِقَامَةِ والقِيامِ بشَعائِرِ الإِسلامِ، مِن صَلَاةٍ، وطَهارَةٍ، وصِيامٍ، ونَهْيٍ عنِ المُنكَرِ الحَرَامِ، وتَنقِيةِ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ مِنَ القَاذُورَاتِ والآثَامِ

التِي كَانَت تُفعَلُ بِهِما جَهَارًا مِن غَيرِ نكيرٍ.

وذَكرُوا أنَّ حالَهُ كحَالِ آحَادِ النَّاسِ، لا يتميَّزُ عَن غَيرِهِ بزِيٍّ ولَا مَركُوبٍ ولَا لِباسٍ، وأنَّهُ لمَّا اجتمَعَ بالمَولَىٰ إبرَاهيم أظهَرَ لهُ التَّعظِيمَ الوَاجِبَ لأهلِ البَيتِ الكَريمِ، وجَلسَ مَعهُ كجُلوسِ أحدِ أصحَابِهِ وحَاشيتِهِ، وكانَ الذِي تولَّىٰ الكَلامَ مَعهُ هُو الفَقيهُ القَاضِي أبُو إسحَاقَ إبرَاهيمُ الزدَاغِي، فكَانَ مِن جُملَةِ مَا قَالَ ابنُ سُعودٍ لَهُم: إنَّ الناسَ يَزعُمونَ أنَّنا مُخالِفُونَ للسُّنَّةِ المُحمدِيَّةِ، فأيُّ شَيءٍ رأيتُمُونَا خالَفْنَا السُّنَّةَ؟ وأيُّ شَيءٍ سمِعتُمُوهُ عنَّا قبلَ اجتِماعِكُم بِنَا؟

فقَالَ لَهُ القَاضِي: بَلغَنَا أنَّكُم تَقُولُونَ بالاستِواءِ الذَّاتِي المُستَلزِمِ لِجسمِيَّةِ المُستَوِي.

فقَالَ: معاذَ اللَّهِ، إنَّمَا نَقُولُ كمَا قالَ مَالكٌ: «الاستِواءُ مَعلُومٌ، والكَيفُ مَجهُولٌ، والسُّؤالُ عَنهُ بِدعَةٌ»؛ فَهلْ فِي هذَا مِن مُخالَفَةٍ؟!

قالُوا: لَا، وبِمثلِ هذَا نَحنُ نَقُولُ نحنُ أيضًا.

ثُمَّ قالَ القَاضِي: وبلَغنَا عَنكُمْ أنَّكُم تَقُولُونَ بعَدَمِ حَياةِ النَّبيِّ ﷺ وحَياةِ إخوَانِهِ مِن الأنبِيَاءِ -عَليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ- فِي قُبورِهِم.

فلمَّا سمِعَ ذِكرَ النبيِّ ﷺ ارتَعَدَ ورَفَعَ صَوتَهُ بالصَّلَاةِ عَليهِ وقالَ: معَاذَ اللَّهِ، إنمَا نَقُولُ: إنهُ ﷺ حيٌّ فِي قَبْرِهِ، وكذَا غَيرُهُ منَ الأنبِيَاءِ، حيَاةً فوقَ حَياةِ الشُّهدَاءِ.

ثُم قَالَ القَاضِي: وبَلَغنَا أنَّكُم تَمنعُونَ مِن زِيارَتِهِ ﷺ، وزِيارَةِ سَائرِ الأموَاتِ معَ ثُبوتِها فِي الصحَاحِ التِي لا يُمكِنُ إنكَارُهَا.

فقَالَ: معَاذَ اللَّهِ أنْ نُنكِرَ مَا ثَبتَ فِي شَرعِنَا، وهَل مَنعنَاكُمْ أنتُم لمَّا عَرفنَا أنَّكُم تَعرفُونَ كيفِيتَهَا وآدَابَها، وإنَّما نَمنَعُ منهَا العامَّةَ الذِينَ يُشرِكُونَ العُبودِيَّةَ بالأُلُوهِيَّةِ مِنَ الأموَاتِ أنْ

تُقضَىٰ لهُم أغرَاضُهُم التِي لا يَقضِيهَا إلَّا اللَّهُ، وإنَّما سَبيلُ الزيَارَةِ الاعتِبارُ بحَالِ المَوتَىٰ، وتَذكِيرُ مَصيرِ الزَّائرِ إلَىٰ مَا صَارَ إليهِ المَزُورُ، ثُمَّ يَدعُو لَهُ بالمَغفِرَةِ، ويسأَلُ اللَّهَ تعالَىٰ المُنفرِدَ بالإعطَاءِ والمَنعِ، هَذَا قَولُ إمامِنَا أحمَدَ بنِ حَنبلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ ولمَّا كانَ العَوامُّ فِي غَايةِ البُعدِ عَن إدرَاكِ هَذَا المَعنَىٰ مَنعنَاهُم سَدًّا للذَّرِيعَةِ، فأيُّ مُخالَفَةٍ للسُّنَّةِ فِي هَذَا القَدرِ؟» اهـ منَ الجُزءِ الثَّامنِ، صَفحَة (١٢٢) منَ الكتَابِ المَذكُورِ، طَبع دارِ الكتَابِ بالدَّار البَيضَاء بالمَغرِب.

قالَ مُحمَّد تَقِي الدِّينِ الهِلالِيُّ: وسَببُ إيفَادِ السلطَانِ المَولَىٰ سُليمَانَ المَذكورِ هَذَا الوَفدَ واهتمَامِهِ بهِ هَذَا الاهتِمامَ: أنَّ المَلكَ السُّعودِيَّ عبدَ اللَّهِ مَلكَ الدَّولَةِ السعُودِيةِ المُشتَملَةِ عَلَىٰ نَجدٍ والحِجازِ لمَّا فَتَحَ اللَّهُ لهُ الحِجازَ، وتَوطَّدتْ دَولَتُهُ، كَتبَ إلَىٰ جَميع مُلوكِ المُسلِمينَ وأُمرَائِهم يَشرحُ لَهُم دَعوةَ الدَّولَةِ السعُودِيةِ وعَقيدَتَها المُطابِقَةَ للكِتابِ

والسُّنَّةِ، وينفِي عَنها مَا نَسبَهُ إلَيها فُقهاءُ السُّوءِ فِي جَميعِ البُلدَانِ مِن أنَّها تُكفِّرُ المُسلِمينَ، وَلا تُعظِّمُ النَّبيَّ ﷺ كمَا يَنبغِي لكلِّ مُسلِمٍ حَنيفٍ أنْ يَفعَلَهُ.

وقَد أغرَىٰ رجَالُ الدَّولَةِ العُثمَانِيَّةِ فُقهَاءَ السُّوءِ فِي جَميعِ البِلادِ الإسلَاميةِ التِي يَشملُهَا حُكمُهُمْ، وطَعَنُوا فِي الدَّولَةِ العَربيَّةِ السعُودِيَّةِ؛ لأنَّهَا طهَّرَت الحَرمَينِ الشَّرِيفَينِ مِنَ الشِّركِ والعَقائِدِ الفَاسدَةِ، ومَنعَتْهُم منَ التَّسلُّطِ عَليهِمَا وعَلَىٰ مَا جَاورهُمَا مِنَ البِلادِ كَنَجدٍ والعِراقِ.

ومِن جُملَةِ المُلوكِ الذِينَ كَتبَ إلَيهِم مَلكُ الدَّولَةِ السعُودِيةِ عبدُ اللَّهِ بنُ سُعودٍ: مَلكُ المَغربِ المَولَىٰ سُليمَانُ ابنُ محمَّدِ بنِ عَبدِ اللَّهِ العَلويُّ مِن آلِ بَيتِ النَّبيِّ ﷺ، ولَم يَستَطِعْ غَيرُهُ مِن الأمرَاءِ والرؤسَاءِ أنْ يبعَثُوا وُفودًا إلَىٰ الحَرَمَينِ للاجتِمَاعِ بِالمَلكِ السُّعودِيِّ ومَعرفَةِ مَا يَدعُو إلَيهِ؛ لأنَّهُم لَم يَكونُوا مُستقِلِّينَ أحرَارًا أقوِيَاءَ كمَا كانَ مُلُوكُ

المَغرِبِ؛ لأنَّ الدولَةَ العُثمانِية كَانَت مُستولِيَةً عَلَىٰ بِلادِ العَربِ ومِصرَ وبُلدانِ الشَّمَالِ الإفرِيقيِّ كُلِّها إلَّا المَغربَ الأقصَىٰ؛ فإنَّها لَم تَستطِعْ أنْ تَستولِيَ عَليهِ مَعَ استِيلائِهَا عَلَىٰ الجَزائِرِ المُجاورَةِ لَهُ.

ولِذلِكَ انفَرَدَ المَولَىٰ سُليمَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ مَلكُ المَغربِ بِهذِهِ المَزِيَّةِ، وأنشَأَ هَذِهِ الخُطبَةَ المُبارَكَةَ، وأمَرَ جَميعَ المَسَاجِدِ أنْ يخطُبُوا بِها عَلَىٰ الشَّعبِ المَغرِبِيِّ، لتَنوِيرِ العُقولِ وإعلَانِ براءَةِ الدَّولَةِ وسُنةِ رسُولِهِ؛ فقَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ، ورَحمَهُ وسَائرَ مُلوكِ هذِهِ الدولَةِ العَلويَّةِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السُّلطَانُ مولَاي سُليمَانُ بنُ سَيدِي مُحمَّدِ بنِ عَبدِ اللَّهِ مِن مَفاخِرِ مُلوكِ المُسلِمينَ فِي القَرنِ الثَّانِي عَشَرَ؛ إذْ كَانَ علَّامَةً مُشارِكًا نِحرِيرًا سَلفِيًّا، مُصلِحًا كَبيرًا، عَاملًا بعِلمِهِ،

آمِرًا بالمَعروفِ نَاهيًا عنِ المُنكَرِ، دَاعيًا للسُّنَّةِ، مُحارِبًا للبِدَعِ، مُعلِّمًا للأمَّةِ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ، مُنفِّذًا فِيهَا لأحكَامِ اللَّهِ، ومِنْ ذَلكَ: مَنعُهُ للمَواسِمِ التِي اعتَادَ المَغارِبةُ إقامَتَهَا لصَالحِيهِمْ.

قالَ فِي «الاستِقصَا»: «وهِيَ جَديرةٌ بالإبطَالِ، فَسقَىٰ اللَّهُ ثَراهُ وجَعلَ فِي عِلِّيِّينَ مَثوَاهُ.

وكَتبَ رِسالَتَهُ المَشهُورَةَ التِي تَكلَّمَ فِيهَا عَلَىٰ حَالِ مُتفقِّرَةِ الوَقتِ، وحذَّرَ فِيهَا ﷺ مِنَ الخُروجِ عنِ السُّنَّةِ، والتغَالِي فِي البِدعَةِ، وبَيَّنَ فِيهَا بعضَ آدَابِ زِيارَةِ الأولِياءِ، وحذَّرَ مِن تَغالِي العوَامِّ فِي ذَلكَ، وأغلَظَ فِيهَا مُبالَغةً فِي النُّصْحِ للمُسلِمينَ -جزَاهُ اللَّهُ خيرًا-».

ووجَّهَ خُطبَتَهُ المَعروفَةَ مِن إنشَائِهِ وبَلاغَتِهِ لخُطبَاءِ المَساجِدِ يخطُبونَ بِها فِي الجُمَعِ، حذَّرَ فِيهَا منَ اتِّباعِ أهلِ البِدعِ، وأنكَرَ عَليهِمْ، ونَهَىٰ عَنِ الاجتِماعِ فِي المَواسِمِ بالإنشَادِ والآلَاتِ والرَّقصِ، وأوعَدَهُم بالعُقوبَةِ إنْ لَم يَنتَهُوا.

وهِي خُطبَةٌ جليلَةٌ دَلَّتْ عَلَىٰ مقَامِهِ ﷺ فِي الدِّينِ، ومَبلَغِ غَيرَتِهِ عَليهِ، وإخلَاصِهِ لَهُ، فمَا أجدَرَهَا بأنْ يُعيدَ جَميعُ خُطبَاءِ المَغرِبِ الخُطبَةَ بِها فِي كُلِّ مُناسَبَةٍ؛ اقتدِاءً بِهذَا الإمَامِ الجَليلِ، ومَا أجدَرَ الوعَّاظَ والمُدرِّسينَ أنْ يُدَرِّسُوهَا للعَامَّةِ ويَعظُوهُم بِها؛ رَغبَةً فِي إسمَاعِهِم كَلمَةَ اللَّهِ، وتَبلِيغِهِم مَا يجهَلُهُ الكَثيرُ مِنهُم مِن أحكَامِهِ التِي هِي مِنَ الأهمِّيَّةِ بِالمَقامِ الأوَّلِ.

بَل مَا أجدَرَ أساتِذَةَ المَدارِسِ والوَاضِعينَ لبَرامِجِ التَّعلِيمِ فِيهَا أنْ يَجعلُوهَا مِن بَينِ مَوادِّ الدرَاسَةِ والحِفظِ للتَّلاميذِ؛ لِينشَئُوا عَارفِينَ بدِينِهِم ونَقاوَتِهِ ممَّا يُلصِقُهُ بِهِ أعدَاؤُهُ المُبتَدِعُونَ، مُقدِّرينَ فَضلَ أسلَافِهِم العامِلِينَ المُجدِّينَ خُصُوصًا مَن كانَ مِثلَ مَولَانا سُليمَانَ -عَليهِ مِنَ اللَّهِ الرَّحمَةُ والرِّضوَانُ-.

وإِنَّهُ مَا زَالَ العُلمَاءُ والمُصلِحُونَ مُهتَبلِينَ بِهذِهِ الخُطبَةِ، مُقدِّرينَ لهَا قَدرَهَا؛ فهَذَا الفَقيهُ الأدِيبُ اللَّوْذَعِيُّ الأرِيبُ السَّيدُ الحَبيبُ الرَّشِيدِيُّ لمَّا سَمعَهَا مَدحَهَا ومَدَحَ مُنشِئَهَا بقَصِيدَةٍ غَرَّاءَ اشتمَلَتْ عَلَىٰ (٤٠) بَيتًا، مِنهَا:

يَـا حُـسنَهَا مِـن خُطـبَةٍ أحْـيَا بِهَـا
مَـا مَـاتَ مِـن سُـنَنِ الـشُّيوخِ المُجَّـدِ

ومِنهَا:

فِـيهَا دعَـا للَّـهِ قَـومًا أعلَـنُوا
بالـشَّطحِ والتَّـصفِيقِ والفِعـلِ الـرَّدِي
جَعلُـوا مَواسِـمَ مَـا لهَـا فِـي سُـنَّةٍ
أصْـلٌ بأضْـرِحَةِ الفُحُـولِ الـزُّهَّدِ
رَفَـضُوا عُلـومَ الـشَّرعِ إيغَـالًا كَمَـا
جَلـسُوا لِتَنقِـيصِ الـشُّيـوخِ بِمَرصَـدِ

فَهُمُــو عَلَــىٰ دِيــنِ النَّبِــيِّ أضــرُّ مِــن
مَتــبوعِهِم والكُــلُّ عَــادٍ مُعْــتَدِ
حتَّــىٰ رَمَــاهُم ربُّــنَا بِــثَــواقِــبٍ
مِــنْ عَــدلِ سَــيدِنَا الهُمَــامِ الأَوْحَــدِ
فأَقَــامَهُم واللَّـــهُ رَاضٍ عَــنهُ فِــي
سِــجْنِ المَهَانَــةِ بالمُقَــامِ الأبعَــدِ

وهَذَا أَبُو القَاسمِ الزيَّانِيُّ يقُولُ فِيهَا فِي «التُّرجُمانَةِ الكُبرَىٰ التِي جَمعَتْ أخبَارَ العَالَمِ برًّا وبَحْرًا»: الخُطبةُ التِي لَم يُسمَعْ مِثلُهَا فِيمَا مَضَىٰ منَ العُصُورِ، ولَا ذَكَرَهَا مَلِكٌ ولَا عَالِمٌ مَشهُورٌ؛ فَهِيَ سَادسَةُ خُطَبِ الخُلفَاءِ الأربَعِ اللوَاتِي انتفَعَ النَّاسُ بِها أجمَع، مَع خُطبَةِ الإبريزِ التِي أملَاهَا عُمرُ بنُ عَبدِ العَزيزِ، فَمَن سَمعَ هَذِهِ الخُطبَةَ وتأمَّلَهَا علَمَ عِلمَ اليقِينِ وتَحقَّقَ أنَّها بَرَزتْ مِن قَلبٍ خَالِصٍ عَارِفٍ بمَا أعدَّهُ اللَّهُ فِي الآخِرَةِ

للمُتَّقِينَ، وأنَّ ذَلكَ مِنَ المَواهِبِ الربَّانِيَّةِ، وفَوقَ المَواهِبِ اللدُنِّيَّةِ، وأنَّ أمِيرَ المُؤمِنينَ ممَّنْ يقَالُ فِيهِ ويكُونُ القَائلُ قَصَّرَ عمَّا فِيهِ: الإمَامُ الذِي ضاهَتْ أسرَارُ كَلامِهِ كَلامَ (الإحياءِ) وهِي (قُوتُ القُلوبِ) إلَىٰ الأموَاتِ والأحيَاءِ وحاذَىٰ بعبَارَةِ (حِكَم ابنِ عَطَاء) (والتَّنوِير) فكَانَ مَا فِيهَا مِن (لطَائفِ المِنَنِ) مَا هُو طِبقُ الحَدِيثِ والتَّفسِيرِ... إلَىٰ آخِرِهِ، وهُو ثنَاءٌ طَويلٌ مِن نَسَقِ مَا قَبلَهُ، فراجِعْهُ إنْ شِئتَ.

ومِثلُهُمَا فِي المُتقدِّمِينَ كَثيرٌ، وكذَلِكَ مِنَ المُتأخِّرِينَ؛ فَقَد ذَكَر جُلَّهَا وأثنَىٰ عَليهَا وعَلَىٰ مُنشئِهَا مِن أجلِهَا فَقيدُ السَّلفِيَّةِ والدَّعوَةِ للإصلَاحِ الدِّينيِّ العَلامةُ عَبدُ السَّلامِ السرْغِينِيُّ -بَرَّدَ اللَّهُ ثَراهُ- فِي مُحاضَرتِهِ فِي **«الدَّعوَةِ لإقَامَةِ السنَّةِ ومُحارَبَةِ البِدَعِ»** التِي ألقَاهَا بالنادِي الذِي كانَ للمُسامَرَاتِ بالمَدرَسَةِ بفَاس.

وهؤلَاءِ عُلمَاءُ القَروِيِّينَ عندَمَا قامُوا قَومَتَهُم المُوفَّقَةَ

ورَفَعُوا عَرِيضَةً بتَأرِيخ (١٧) المُحرَّم عامَ (١٣٥٢) لجَلَالَةِ السلطَانِ المُعظَّمِ سَيدِي مُحمدِ بنِ يُوسُفَ -دَامَ اللَّهُ عُلاهُ-، بَواسِطَةِ مُمثِّلِهِ بفَاس حَضرَةَ البَاشَا، أرفَقُوهَا بنُسخَةٍ مِن هذِهِ الخُطبَةِ الجَليلَةِ، مُستَندِينَ عَليهَا مُثنِينَ عَلَىٰ مُنشِئِهَا -قدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ-، وهيَ جَديرَةٌ بِكُلِّ ذَلكَ وبِأكثَرَ مِنهُ، رَحِمَ اللَّهُ مُنْشِئَهَا ووَفَّقَ عُلمَاءَنَا ووُلَاتَنَا للاقْتِدَاءِ بِهِ والسَّيرِ عَلَىٰ مِنوَالِهِ فِي القِيامِ بِواجِبِهِمُ الدِّينيِّ مِنَ الدَّعوَةِ والإرشَادِ، فَيستَحقُّوا إرْثَ الأنبِياءِ -عَليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ-، ويُهيِّئُوا الأمَّةَ لتكُونَ خَيرَ أمَّةٍ أُخرِجَت للنَّاسِ قَبلَ أنْ يَحِلَّ عَليهِمُ الحَديثُ الشَّريفُ: **«مَن كَتَم عِلمًا ألجَمَهُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ بِلجَامٍ مِن نَارٍ»**[1].

---

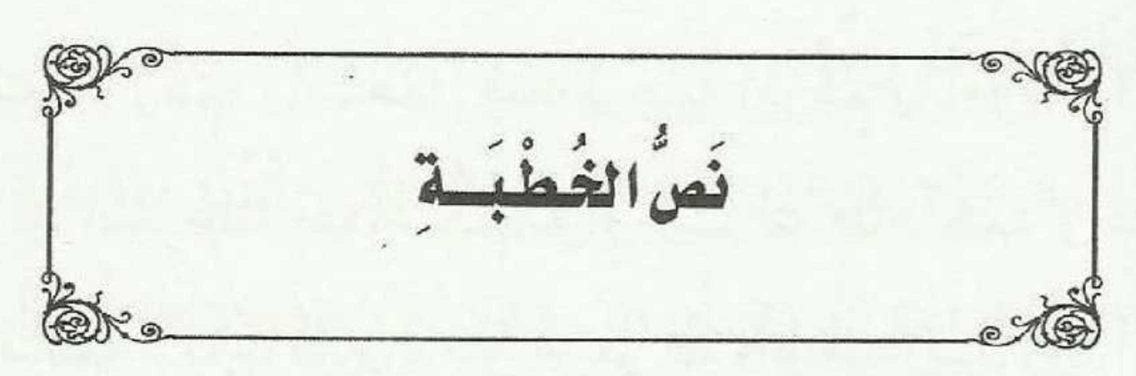
(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وابن ماجه (٢٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: **«مَن سُئلَ عَن عِلم فَكتَمَهُ ألجَمَهُ اللَّهُ بلجَام مِن نَار يَومَ القِيامَةِ»**.

وصححه الألباني فِي صحيح الجامع (٦٢٨٤).

ويُؤدُّوا الأمَانَةَ التِي أخذَ اللَّهُ مِيثاقَهُم بِتبلِيغِهَا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧].

وهَذَا مَا دَعانَا اليَومَ لِلقيَامِ بنَشرِهَا؛ رَغبَةً فِي حُصولِ النَّفعِ بِها بَعدَ مَمَاتِ صَاحِبِهَا، كَمَا فَعلَ بِهَا فِي حَياتِهِ، وتَسهِيلًا عَلَىٰ مَن أرَادَ الحُصولَ عَلَيهَا مِمَّنْ يُرِيدُ الدَّعوَةَ إِلَىٰ اللَّهِ بِها، وَاللَّهُ سُبحَانَهُ مِن وَرَاءِ القَصْدِ.

❊ ❊ ❊



نَصُّ الخُطْبَةِ

الحَمدُ للَّهِ الذِي تَعبَّدَنا بالسَّمعِ والطَّاعَةِ، وأَمَرَنا بِالمُحافَظَةِ عَلَىٰ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، وحِفظِ مِلَّةِ نَبيِّهِ الكَرِيمِ، وصفِيِّهِ الرَّءُوفِ الرَّحِيمِ، مِنَ الإضَاعَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، وجَعَلَ التَّأَسِّي بِهِ أَنْفَعَ الوسَائِلِ النَّافِعَةِ.

أحمَدُهُ حَمْدًا يُنتِجُ اعتِمَادَ العَبدِ عَلَىٰ رَبِّهِ وانقِطَاعِهِ، وأشكُرُهُ شُكرًا يقصُرُ عَنهُ لسَانُ البَرَاعَةِ، وأستَمِدُّ مَعونَتَهُ بلسَانِ المَذلَّةِ والضَّراعَةِ، وأُصلِّي عَلَىٰ مُحمَّدٍ رَسُولِهِ المَخصُوصِ بمَقَامِ الشَّفَاعَةِ، عَلَىٰ العُمومِ والإشَاعَةِ، والرضَا عَن آلِهِ وصَحبِهِ الذِينَ اقتَدَوا بِهَدْيِهِ بِحسْبِ الاستِطَاعَةِ.

أَمَّا بَعدُ:

أَيُّها النَّاسُ، شَرَحَ اللَّهُ لقَبُولِ النصيحَةِ صُدورَكُم، وأصلَحَ

بعِنايَتِهِ أمُورَكُم، واستَعمَلَ فِيمَا يُرضِيهِ آمِرَكُم ومَأمُورَكُم؛ فإنَّ اللَّهَ قَدِ استَرْعَانَا جَماعَتَكُم، وأوجَبَ لنَا طَاعتكُمْ، وحذَّرَنَا إضَاعتكُم، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ ﴾ [النساء:٥٩]، سيَّما فِيما أمَرَ اللَّهُ بِهِ ورَسُولُهُ، أو هُو مُحرَّمٌ بالكتَابِ والسُّنَّةِ النَّبويَّةِ، وإجمَاعِ الأمَّةِ المُحمَّديَّةِ.

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ ﴾ [الحج:٤١].

ولِهذَا نَرثِي لغَفلَتِكُم! أوْ عَدمِ إحسَاسِكُم! ونَغارُ مِنَ استِيلاءِ الشيطَانِ بِالبِدَعِ عَلَىٰ أنوَاعِكُمْ وأجنَاسِكُمْ.

فألقُوا لأَمرِ اللَّهِ آذَانكُمْ، وأيقِظُوا مِن نَومِ الغَفلَةِ أجفَانكُم، وطَهِّروا مِن دَنسِ البِدعِ إيمَانكُم، وأخلِصُوا اللَّهَ إسرَارَكُم وإعْلانكُم، واعلَمُوا أنَّ اللَّهَ بفَضْلِهِ أوضَحَ لَكُم طُرُقَ السُّنَّةِ لتَسلُكُوهَا، وصَرَّحَ بذَمِّ اللَّهْوِ والشَّهواتِ لتَملِكُوهَا، وكَلَّفَكُمُ لينظُرَ عَمَلَكُم، فَاسمَعُوا قَولَهُ فِي ذَلكَ وَأَطِيعُوا، واعرِفُوا

فَضلَهُ عَلَيكُمْ وَعُوهُ.

واتركُوا عَنكُمْ بِدَعَ المَواسِمِ التِي أنتُمْ بِهَا مُتلبِّسُونَ، والبِدعُ التِي يُزيِّنُهَا أهلُ الأهوَاءِ ويُلَبِّسُونَ، وافترَقُوا أوزَاعًا، وانتَزَعُوا الأديَانَ وَالأموَالَ انتِزاعًا، فِيمَا هُوَ حَرَامٌ كِتابًا وسُنَّةً وإجمَاعًا، وتَسَمَّوا فُقَراءَ، وأحدَثُوا فِي دِينِ اللَّهِ مَا استوجَبُوا بِهِ سَقَرًا.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

وكُلُّ ذَلكَ بِدعَةٌ شَنيعَةٌ، وفِعلَةٌ فَظِيعَةٌ، وسُبَّةٌ وَضِيعَةٌ، وسُنَّةٌ مُخَالِفَةٌ لأحكَامِ الشَّريعَةِ، وتَلبيسٌ وضَلالٌ، وتَدلِيسٌ شَيطَانِيٌّ وخَبالٌ زَيَّنَهُ الشيطَانُ لأولِيَائِهِ فوقَّتُوا لَهُ أوقَاتًا، وأَنْفَقُوا فِي سَبيلِ الطَّاغُوتِ فِي ذَلكَ دَراهِمَ وأقوَاتًا، وتَصَدَّى لهُ أهلُ البِدعِ مِن (عِيسَاوَةَ) وَ(جَلالَةَ) وغَيرِهِم مِن ذَوي البِدعِ والضَّلالَةِ، والحَمَاقَةِ والجَهَالَةِ، وصَارُوا يَترقَّبُونَ للَهْوِهِمُ

السَّاعَات، وتتزاحَمُ عَلَىٰ حِبالِ الشَّيطَانِ وعِصِيِّهِ مِنهُمُ الجَمَاعَات، وكلُّ ذَلكَ حَرامٌ مَمنُوع، والإنفَاقُ فِيهِ إنفَاقٌ فِي غَيرِ مَشرُوع.

فأَنشُدُكُمُ اللَّهَ عِبادَ اللَّهِ: هَل فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعمِّهِ سَيدِ الشُّهدَاءِ مَوسِمًا؟

وهَل فعلَ سَيدُ الأمَّةِ أبُو بَكرٍ لسيِّدِ الأرسَالِ -صلَّىٰ اللَّهُ عَليهِ وعَلَىٰ جَميعِ الصَّحابَةِ والآلِ- مَوسِمًا؟

وَهَلْ تَصَدَّىٰ لذَلِكَ أحَدٌ مِنَ التَّابِعِينَ -رَضِي اللَّهُ عَنهُمْ أجمَعِينَ-؟

ثُم أنشُدُكُمُ اللَّهَ: هَلُ زُخرِفَتْ عَلَىٰ عَهدِ رَسُولِ اللَّهِ المَسَاجِدُ؟

أو زُوِّقَتْ أضرِحَةُ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ الأمَاجِدِ؟

كَأنِّي بِكُمْ تَقُولُونَ فِي نَحوِ هَذِهِ المَوَاسِم المَذكُورَة وفِي

زَخرَفَةِ أضرِحَةِ الصَّالِحِينَ، وغَيرِ ذَلكَ مِنْ أنوَاعِ الابتدَاعِ: حَسبنُا الاقتِدَاءُ والاتِّبَاعِ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

وهَذِهِ المَقَالةُ قَالهَا الجَاحِدُونَ! هَيهَاتَ هَيهَاتَ لمَا تُوعَدُونَ، وقَد رَدَّ اللَّهُ مَقالَتهُمْ، ووَبَّخَهُم ومَا أَقَالَهُمْ؛ فالعَاقِلُ مَنِ اقتَدَىٰ بآبَائِهِ المُهتَدِينَ وأهْلِ الصَّلاحِ والدِّينِ، «خَيرُ القُرونِ قرنِي...»[1] الحَدِيثُ.

وبِالضَّرُورَةِ أنَّهُ لَنْ يَأتِيَ آخِرُ هذِهِ الأمَّةِ بِأَهْدَىٰ مِمَّا كَانَ عَلَيهِ أولُّهَا؛ فَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وعَقْدُ الدِّينِ قَدْ سُجِّلَ، ووَعْدُ اللَّهِ بإكمَالِهِ قَدْ عُجِّلَ، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، ولفظه: «خيركم قرني ...».

وأخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ولفظه: «خير الناس قرني...».

وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة:٣].

قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه عَلَىٰ مِنْبَرِهِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَد سُنَّتْ لَكُمُ السُّنَنُ، وفُرِضَتِ الفَرَائِضُ، وتُرِكْتُمْ عَلَىٰ الجَادَّةِ؛ فَلَا تَمِيلُوا بِالنَّاسِ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا».

فَلَيسَ فِي دِينِ اللَّهِ وَلَا فِيمَا شَرَعَ نَبِيُّ اللَّهِ: أَنْ يُتَقَرَّبَ بغِنَاءٍ ولَا شَطْحٍ، والذِّكْرُ الذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وحَثَّ عَلَيهِ ومَدَحَ الذَّاكِرِينَ بِهِ، هُوَ عَلَىٰ الوَجهِ الذِي كَانَ يَفعَلُهُ ﷺ، ولَمْ يَكُنْ عَلَىٰ طَرِيقِ الجَمعِ ورَفْعِ الأَصوَاتِ عَلَىٰ لِسَانٍ وَاحِدٍ؛ فَهٰذِهِ طَرِيقَةُ الخَلَفِ، فَمَنْ قَالَ بِغَيرِ طَرِيقَتِهِمْ فَلَا يُستَمَعُ، ومَنْ سَلَكَ غَيرَ سَبِيلِهِمْ فَلا يُتَّبَعُ؛ ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨].

فَمَا لَكُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ ولِهَذِهِ البِدَعِ؟!

أَأَمْنًا مِنْ مَكْرِ اللَّهِ ؟!

أَمْ تَلْبِيسًا عَلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ؟!

أَمْ مُنَابَذَةً لِمَنِ النَّوَاصِي بِيَدِهِ؟!

أَمْ غُرُورًا لِمنِ الرُّجُوعُ بَعدُ إِلَيهِ؟!

فتُوبُوا واعتَبِرُوا، وغَيِّرُوا المَناكِرَ واستَغْفِرُوا؛ فَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ بِذَنْبِ المُتْرَفِينَ مَنْ دُونَهُمْ، وعَاقَبَ الجُمهُورَ لَمَّا أَغْضَوْا عَنِ المُنكَرِ عُيُونَهُم، وسَاءَتِ بالغَفلَةِ عَنِ اللَّهِ عُقبَىٰ الجَمِيعِ، مَا بَينَ العَاصِي والمُدَاهِنِ المُطِيعِ.

أَفيُزَيِّنُ لَكُمُ الشَّيطَانُ وكِتَابُ اللَّهِ بِأَيدِيكُمْ؟

أَمْ كَيفَ يُضلُّكُمْ وسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ تُنَادِيكُمْ؟

فتُوبُوا إِلَىٰ رَبِّ الأربَابِ، وأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُم وأَسلِمُوا لَهُ مِن قَبلِ أَنْ يَأْتِيَكُم العَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصِرُونَ، ومَنْ أَرَادَ مِنكُمْ

التَّقَرُّبَ بصَدَقَةٍ، أَوْ وُفِّقَ لِمَعرُوفٍ أَوْ إطعَامٍ أو نَفَقَةٍ، فَعَلَىٰ مَن ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ووَعدَكُمْ فِيهِمْ بِجَزِيلِ ثَوَابِهِ، كَذوِي الضرُورَةِ الغَيرِ الخَافِيَةِ والمَرْضَىٰ الذِينَ لَستُمْ بأَولَىٰ مِنهُمْ بِالعَافِيَةِ؛ فَفِي مِثلِ هَذَا تُسَدُّ الذَّرَائِعُ، وفِيهِ تُمتَثَلُ أَوَامِرُ الشَّرَائِعِ؛ ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ [التوبة: ٦٠].

ولَا يُتقَرَّبُ عَلَىٰ مَالِكِ النَّوَاصِي بِالبِدَعِ والمَعَاصِي، بَلْ بِمَا يُتَقَرَّبُ بِهِ الأولِيَاءِ والصَّالِحُونَ، وَالأتقِياءُ المُفلِحُونَ: أَكْلُ الحَلالِ، وقِيامُ اللَّيَالِي، ومُجَاهدَةُ النَّفْسِ فِي حِفظِ الأحوَالِ، بِالأقوَالِ والأفعَالِ، البَطْنُ ومَا حَوَىٰ، وَالرَّأسُ ومَا وَعَىٰ، وآيَاتٌ تُتْلَىٰ، وسُلُوكُ الطَّرِيقَةِ المُثلَىٰ، وحَجٌّ وجِهادٌ، ورِعايَةُ السُّنَّةِ فِي المَوَاسِمِ والأعيَادِ، ونَصيحَةٌ تُهتدَىٰ، وأَمَانَةٌ تُؤَدَّىٰ، وخُلُقٌ عَلَىٰ خُلُقِ القُرآنِ يُحدَىٰ، وصَلاةٌ وصِيامٌ واجتِنابُ

مَواقِعِ الآثَامِ، وبَيعُ النَّفْسِ والمَالِ مِنَ اللَّهِ.

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١] الآية.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

الصِّرَاطُ المُستَقِيمُ: كِتابُ اللَّهِ وسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ولَيسَ الصِّرَاطُ المُستقِيمُ كَثرَةَ الرَّايَاتِ، والاجتمَاعَ لِلبيَاتِ، وحضُورَ النِّساءِ والأحدَاثِ، وتَغيِيرَ الأحكَامِ الشَّرعِيةِ بِالبِدَعِ والإحدَاثِ والتَّصفِيقِ والرَّقصِ، وغَيرِ ذَلكَ مِن أوصَافِ الرذَائِلِ والنَّقْصِ.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر:٨].

عَنِ المِقدَامِ بنِ مَعدِيكَرِبَ رضي الله عنه: سَمعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُجَاءُ بالرَّجُلِ يومَ القِيامَةِ وبَينَ يَديهِ رَايةٌ يَحمِلُهَا،

وأُنَاسٌ يَتبعُونَهَا، فَيُسأَلُ عَنهُمْ ويُسأَلُونَ عَنهُ...؟»(١).

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ [البقرة:١٦٦-١٦٧].

فَيجِبُ عَلَىٰ مَن وَلَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَمْرِ المُسلِمِينَ شَيئًا مِنَ السُّلطَانِ والخَلَائقِ: أَنْ يَمنَعُوا هؤلَاءِ الطَّوائفَ مِنَ الحُضورِ فِي المسَاجِدِ وغَيرِهَا، ولَا يَحلُّ لأَحَدٍ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ أَنْ يَحضُرَ مَعهُمْ أَوْ يُعِينَهُمْ عَلَىٰ بَاطِلِهِمْ؛ فَإِيَّاكُمْ ثُمَّ إِيَّاكُمْ والبِدعَ؛ فَإِنَّهَا تَتْرُكُ مَرَاسِمَ الدِّينِ خَالِيَةً خَاوِيَةً، والسُّكُوتُ عَنِ المَنَاكِرِ يُحِيلُ رِيَاضَ الشَّرَائِعِ ذَابِلَةً ذَاوِيَةً.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٢٧٥) برقم (٦٥٢)، وأورده الهيثمي فِي مجمع الزوائد (٥/ ٣٧٥)، وقال: «رواهُ الطبرانِي فِي الأوسَط، وفيه مُحمد بن إسماعيل بن عياش وهُو ضعيفٌ». اهـ
وضعفه الألبانِي فِي ظلال الجنة (١٠٩٩).

فَمِنَ المَنقُولِ عَنِ المِلَلِ، والمَشهُورُ فِي الأَوَاخِرِ والأُوَلِ: أَنَّ المَناكِرَ والبِدَعَ إِذَا فَشَتْ فِي قَومٍ أَحَاطَ بِهِم سُوءُ كَسْبِهِمْ، وأَظْلَمَ مَا بَينَهُمْ وبَينَ رَبِّهِمْ، وانقَطَعَتْ عَنهُمُ الرَّحَمَاتُ، ووَقَعَتْ فِيهِمُ المَثُلاتُ، وشَحَّتْ السَّمَاءُ، وحَلَّتِ النَّقْمَاءُ، وغِيضَ المَاءُ، واستَولَتِ الأعدَاءُ، وانتَشَرَ الدَّاءُ، وجَفَّتِ الضُّرُوعُ، ونَقَعتْ بَرَكَةُ الزُّرُوعِ؛ لأَنَّ سُوءَ الأَدَبِ مَعَ اللَّهِ يَفتَحُ أَبوَابَ الشَّدَائِدِ، ويَسُدُّ طُرُقَ الفَوائِدِ.

والأَدَبُ مَعَ اللَّهِ ثَلاثَةٌ:

* حِفظُ الحُرمَةِ بِالاستِسْلَامِ والاتِّبَاعِ.

* ورِعَايَةُ السُّنَّةِ مِنْ غَيرِ إِخْلَالٍ ولَا ابتِدَاعٍ.

* ومُراعَاتُها فِي الضِّيقِ والاتِّسَاعِ.

لَا مَا يَفعَلُهُ هَؤلاءِ الفُقَرَاءُ، فَكلُّ ذَلكَ كَذِبٌ عَلَىٰ اللَّهِ وافتِرَاءٌ، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١].

عَنِ العِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَوعِظَةً ذَرفَتْ مِنهَا العُيونُ، ووَجِلَتْ مِنهَا القُلوبُ، فَقَامَ إِليهِ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كأَنَّ هذِهِ موعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَا تعهَدُ إِلَينَا -أَوْ قَالَ: أَوْصِنَا-؛ فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بتَقْوَىٰ اللَّهِ، والسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِمَنْ وَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيكُمْ، وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّهُ مِنْ يَعِشْ مِنكُمْ فَسَيَرَىٰ اختِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيكُمْ بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيهَا بالنَّوَاجِذِ، وإِيَّاكُمْ ومُحدَثَاتِ الأُمورِ؛ فإِنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

وهَانَحنُ عِبادَ اللَّهِ أَرْشَدْنَاكُمْ وأَنْذَرْنَاكُمْ وحَذَّرْنَاكُمْ، فَمَنْ ذَهَبَ بَعدُ لِهذِهِ المَوَاسِمِ، أَوْ أَحدَثَ بِدعَةً فِي شَرِيعَةِ نَبِيِّهِ

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) ، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٩).

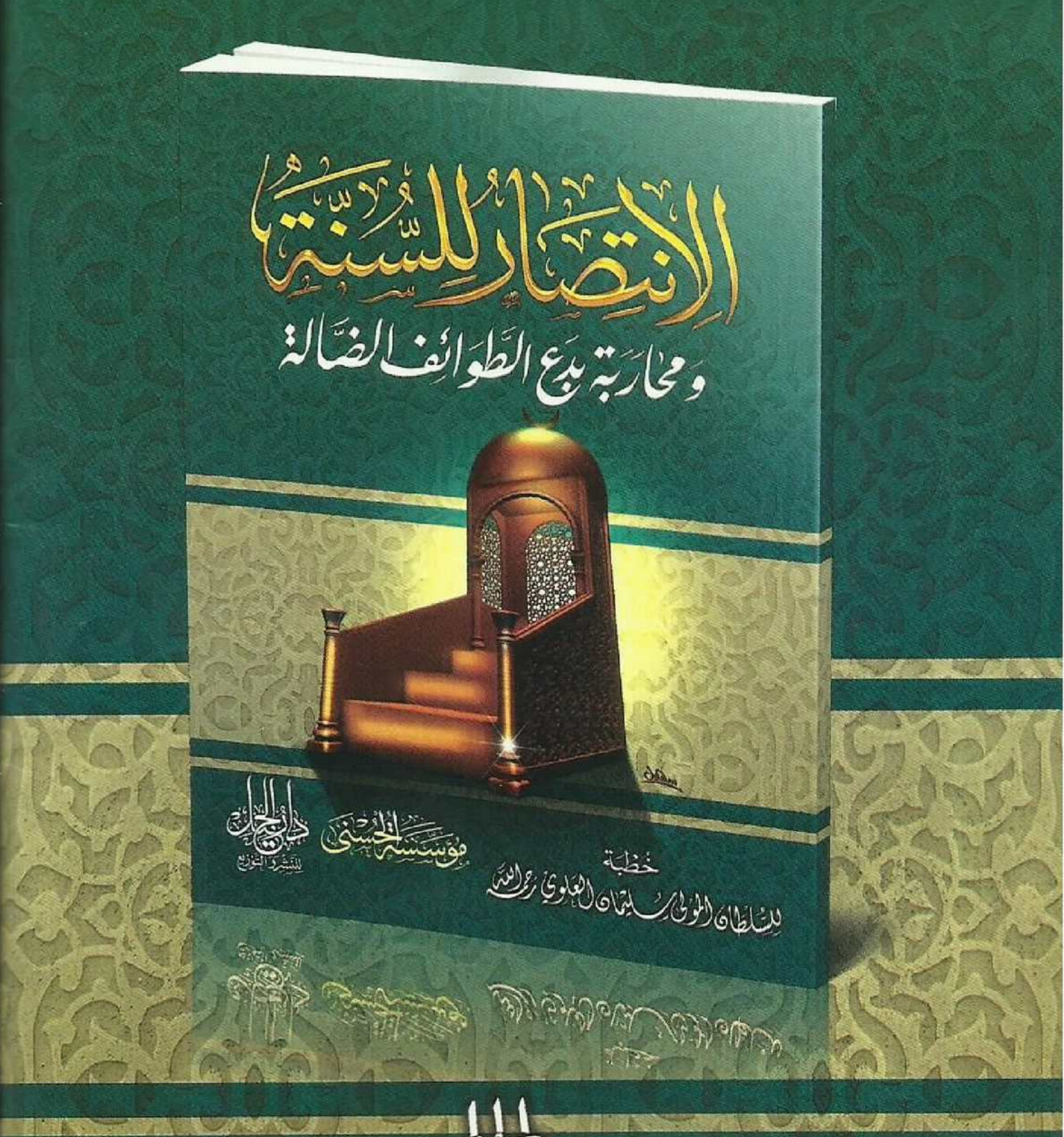
أَبِي القَاسِمِ، فَقَدْ سَعَىٰ فِي هَلاكِ نَفْسِهِ، وجَرَّ الوَبَالَ عَلَيهِ وعَلَىٰ أبنَاءِ جِنسِهِ، وتَلَّهُ الشَّيطَانُ لِلجَبِينِ، وخَسِرَ الدُّنيَا والآخِرَةَ، ذَلكَ هُوَ الخُسرَانُ المُبِينُ.

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].



الفِهرس

❊ ❊ ❊



توزيع مكتبة السلف الصالح